ألف حكاية وحكاية (١٢٠)

يعقوب الشارونى
ضحكة فرعونية

وحكايات أخرى

مكتبة مصر



ألف حكاية وحكاية (١٢٠)

ضحكة فرعونية

وحكايات أخرى

بقلم

يعقوب الشارونى



رسوم

نسيم

الناشر
مكتبة مصر
سعيد جودة السحار وشركاه
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة
ت: ٥٩٠٨٩٢٠

ما بعد الأيام

فى خاتمةِ كتابِ "ما بعد الأيام" ، الذى كتبَهُ الدكتور "محمد حسن الزيات" وزيرُ خارجيةِ مصرَ الأسبقُ ، عن والدِ زوجتِهِ الدكتور طه حسين ، عميدِ الأدبِ العربىِّ ، يقولُ:

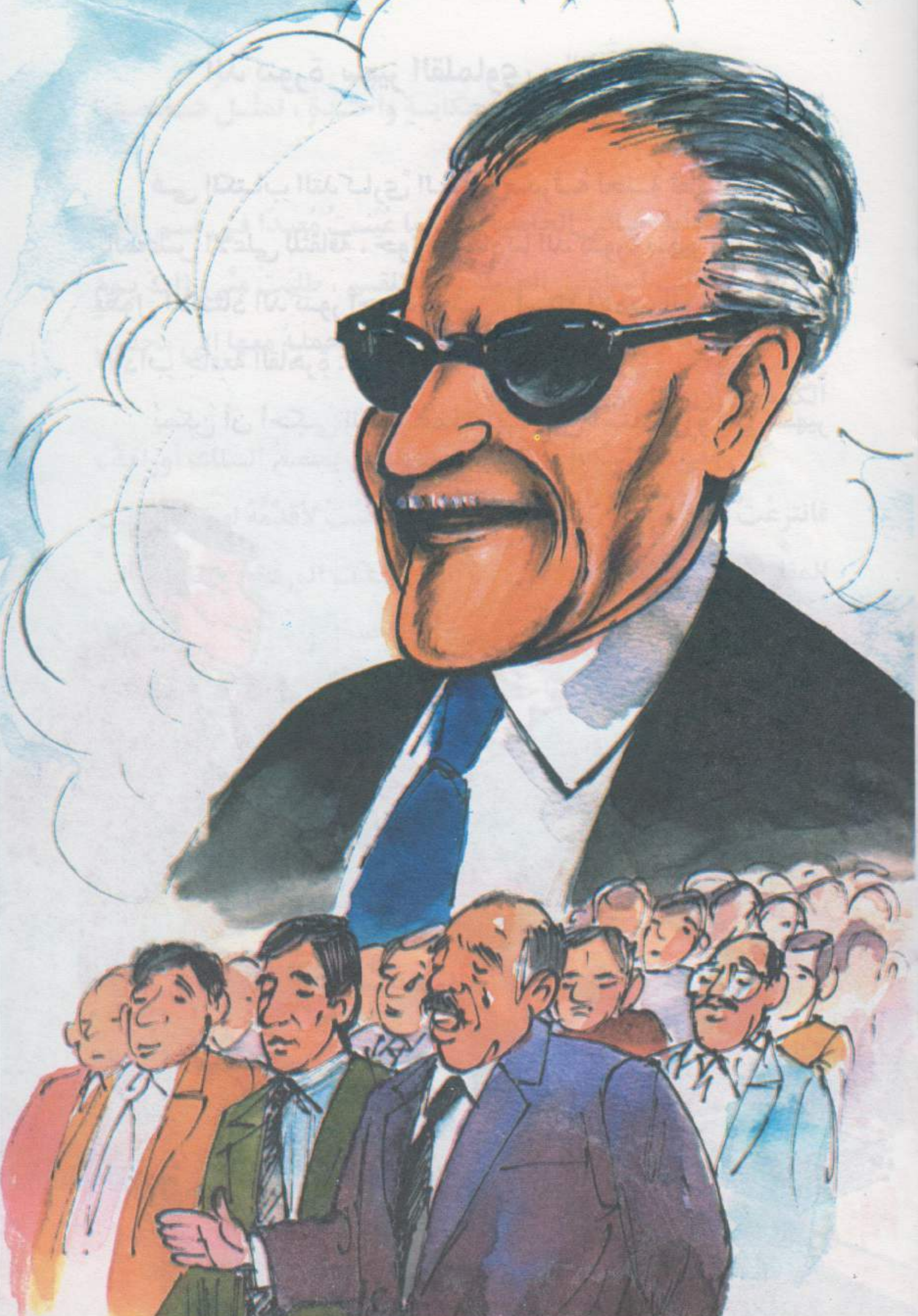
رأيت رجلاً من بينِ جماهيرِ الشعبِ الذين وقفوا يُشيِّعونَ العميدَ ، بعدَ رحيلِهِ فى الثامنِ والعشرينَ من أكتوبر عامَ ١٩٧٣ ، وقفَ يبكى مع ابنِهِ ويقولُ له:

"أنتَ يا بُنَىَّ تبكى طه حسين لأنَّكَ تعلَّمْتَ منه ، وقرأتَ له ، وسمعْتَ أحاديثَهُ فى الإذاعةِ.

وأنا يا بُنَىَّ لم أتعلَّمْ من طه حسين ، ولم أقرأ كُتُبَهُ ، ولم أسمعْهُ يتحدَّثُ فى الإذاعةِ إلا نادرًا ومصادفةً.

ولكنى أبكيهِ يا بنى ، لأنه هو الذى مكَّنَنى ، منذُ ثلاثةٍ وعشرينَ عامًا ، من تعليمِكَ. وها أنتَ قد حقَّقْتَ لنفسِكَ ولأسرتِكَ من الثقافةِ والكرامةِ والخيرِ ما حقَّقْتَ.

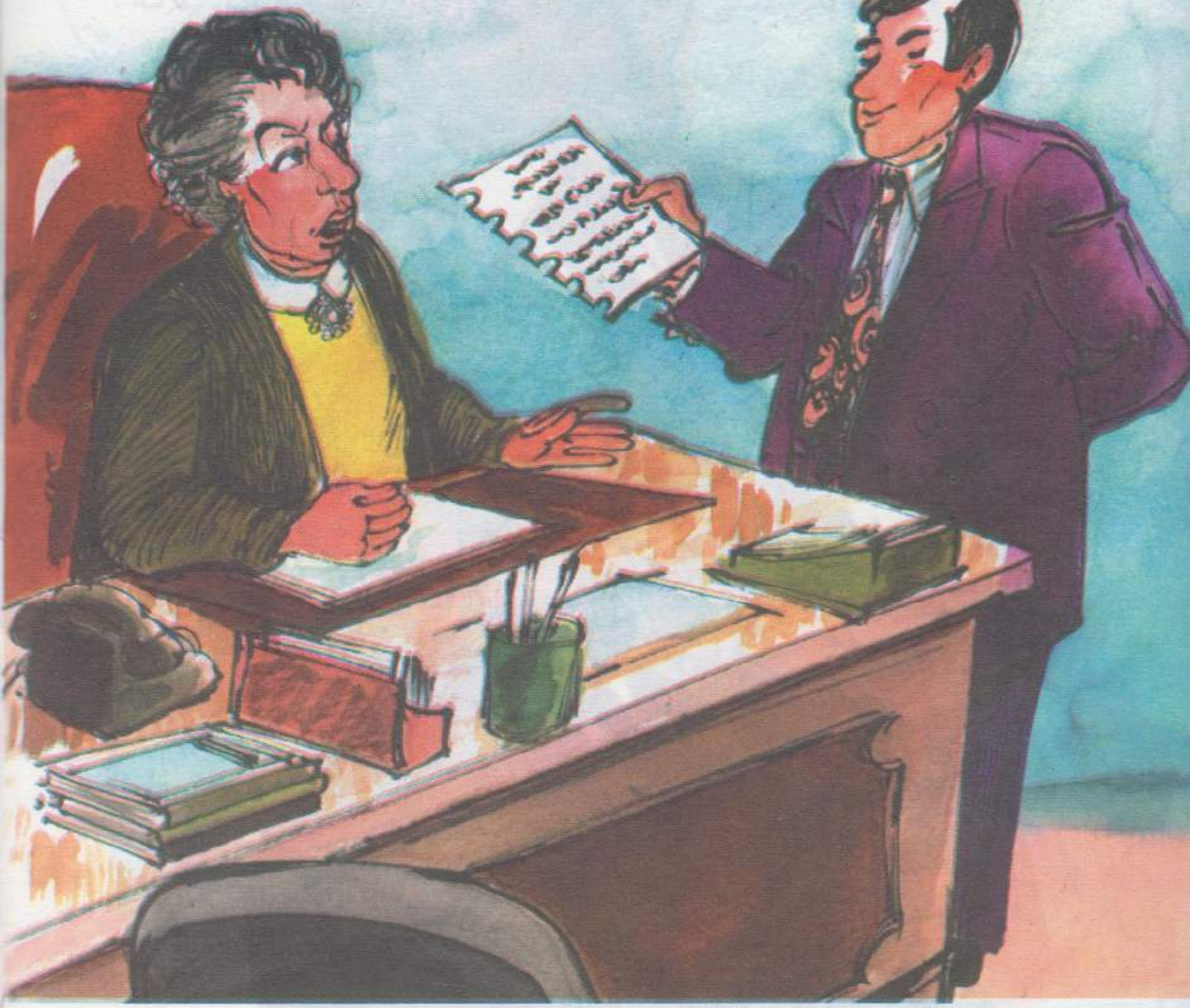
أبكيهِ يا بنى ، لأن الله تعالى أكرمَهُ بالعلمِ ، فلم ينسَ الجاهلينَ. وأغناه ، فلم ينسَ المُحتاجينَ. وأسعدَهُ ، فلم ينسَ مَنْ فى الأرضِ من المُعذَّبينَ."



الدكتورة سهير القلماوى و " الشرشرة "

فـى الكتـابِ التذكـارىِّ الـذى أصدرَتْـهُ لجنـةُ ثقافـةِ الطفـلِ بالمجلسِ الأعلى للثقافةِ ، حولَ أستاذتِنا الدكتورة سهير القلماوى ، يقولُ الأستاذُ الدكتور أحمد مرسى ، أستاذُ الأدبِ الشـعبىِّ بكليةِ الآدابِ جامعة القاهرةِ :

يُمكنُ أن أحكِىَ الكثيرَ عما تعلَّمْتُهُ من أستاذتى و أمِّى سهير



القلمـاوى ، لكننـى سـأكتفى بحكايـةٍ واحـدةٍ ، تمثّـلُ شـخصيتَها و خصالها .

ففى بدايةِ حياتى الجامعيةِ ، عندما عُيِّنـتُ مُعيدًا فى قسمِ اللغةِ العربيةِ ، و كانَتْ أستاذتى الجليلةُ رئيسًا للقسم ، طلبَتْ منّى ذاتَ يومٍ أن أكتبَ شيئًا فـى أمرٍ يخصُّ القسمَ ، لكـى تحملَهُ معها إلى مجلسِ الكليةِ ، و أن أفعلَ ذلك بسرعةٍ .

كانَ معى " كشكول " من النوعِ الذى يجمعُ السلكُ أوراقَهُ ، فانتزعْتُ ورقةً منه ، و كتبْتُ ما أرادَتْهُ ، و ذهبْتُ لأقدِّمَهُ لهـا . و كانَتِ المفاجأةُ أنها لم تقرأ مـا كتبْتُ ، و إنمـا أخـذَتِ الورقـةَ ، و نظرَتْ إلىَّ و هى تكوِّرُها بيدِها ، و قالَتْ بالحرفِ الواحدِ :

" يا بنـى ، مـا فيش واحـد محـترم يكتـب علـى ورق مشرشـر .. هتكتب علـى ورق مشرشر ، هـا تبقـى هدومـك مشرشـرة ، و شـغلك مشرشر ، و هـا تبقى إنت نَفْسَك بنى آدم مشرشر ، و أنـا مـا احبش حـد من ولادى يبقى مشرشر . روح شوف ورقة عِدْلة ، و اكتب اللـى طلبتـه منك . "

و لم تكنْ سهير القلماوى طـوالَ حياتِها " إنسان مشرشر " ، و لم تسمحْ لأىٍّ من أبنائِها و تلاميذِها أن يكونوا " مشرشرين " !!

خافوا من تنويرك للعقول!!

فى روايةِ الأديبِ "حسن محسب" عن "رفاعة الطهطاوى" ، والتى يقدِّمُ فيها ملحمـةً رائعةً عـن الحبِّ لمصرَ والتضحيةِ للوطـنِ ،





يحكى الكاتبُ الروائِيُّ الموهوبُ هذه الحكايةَ ، يقولُ:

"عندما تُوُفِّيَ محمد على فى الثانى من أغسطس سنةَ ١٨٤٩ ، جاءَ بعدَهُ الخديو عباس.

أمر الخديـو عباس: "تتمُّ تصفيةُ المدارسِ ، وتُحـرَقُ أو تُغلَقُ مدرسةُ الألسنِ!!"

وثارَ الطهطاوىُّ ، وهرولَ إلى القلعةِ ، وقالَ لعباس: "هـذا قرارٌ يُعيدُ البلادَ إلى عصرِ الجمودِ والتخلُّفِ والظلامِ."

فغضبَ منه عباس ، وأمرَ بنَفْيِهِ إلى السودانِ وهـو يقـولُ لـه ساخرًا: "شيخ رفاعة تُريـدُ تعليـم.. اذهـبِ إلى طوكـر بالسـودانِ ، عيَّنْتُكَ ناظرَ مدرسةٍ ابتدائيةٍ هناك .. علِّمِ النـاسَ خرافاتٍ وهلوساتٍ عن حرية .. وثقافاتٍ .. وحضاراتٍ .. ولن تعودَ من هناك ما دُمْتُ أنا أحكمُ ..."

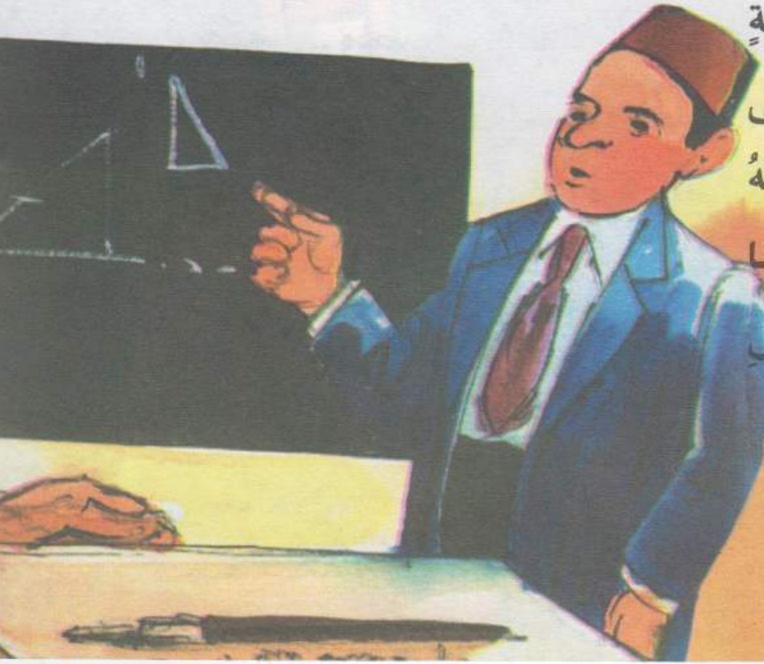
وكانَ لرفاعة زميلٌ بالأزهر ، قالَ لـهُ: "هـذه وشايةٌ من الأمراءِ والأعيانِ ، لأنهم خافوا مـن تنويـركَ لعقـولِ النـاسِ ، وتعليـمِ عامَّـةِ المصريين .. وغضبوا من إلغائك اللغةَ التركيةَ ، ودعوتِكَ إلى الدستور الحريـةِ ، وهـم يُريـدونَ أمَّـةً مـن العبيـدِ.." وسُافرَ الطـهطاوى إلى السودانِ ، لكنْ مع تولِّى سعيد عرشَ مصرَ سنةَ ١٨٥٤ ، عادَ إلى مصرَ ، ليُكمِلَ مسيرةَ التعليمِ والتنويرِ.

على باشا مبارك .. أبو التعليم

عندما كانَ أستاذُ الجيلِ " أحمد لطفى السيد " تلميذًا فى مدرسةِ الخديوية سنة ١٨٨٩ ، وهى السنةُ التى حصلَ فيها على شهادةِ " البكالوريا " ، التى تُشبهُ الثانويةَ العامةَ العاليةَ ، كانتِ المدرسةُ تعقدُ اختبارًا كلَّ شهرٍ لتلاميذِها .

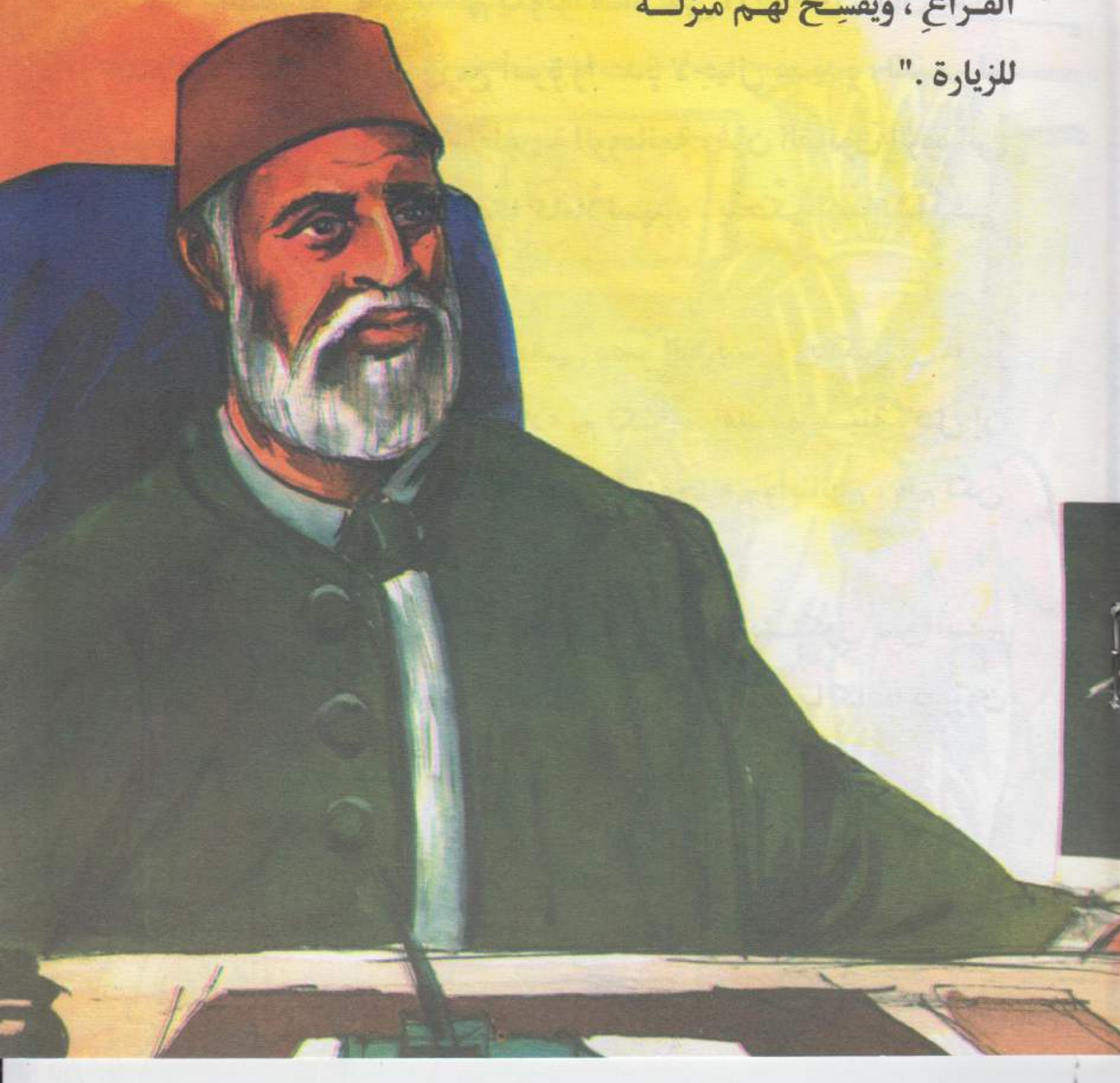
ويقول أستاذُ الجيلِ : " رغبَ تلامذةُ البكالوريا أن تُعفِيَهم المدرسةُ من الاختباراتِ الشهريةِ ، حتى يُوَجِّهوا كلَّ جهودِهم فى المذاكرةِ للامتحانِ العامِّ . وأجمعَ رأيُهم على أن يطلبوا إلى وزيرِ المعارفِ على باشا مبارك ، إعفاءهم منها . واختارونى للذهابِ لمقابلتِهِ ، فذهبْتُ إليه .

وكانَ من عادتِهِ أن يضعَ سبورةً فى مكتبهِ ، لاختبارِ كلِّ من يتقدَّمُ إليه من الطلبةِ فى حاجةٍ يُريدُها ، ولا يُجيبُهُ إلى حاجتِهِ ، إلا إذا أجابَهُ إجابةً صحيحةً فيما يختبرُهُ من المسائلِ الرياضيةِ أو العلميةِ .



فلما وقفْتُ بين يدَيْـهِ ، طلـبَ منّـى أن أقـفَ أمـامَ السـبورةِ ، لأبرهـنَ على النظريةِ الهندسيةِ التى حاصلُها " إن مُربَّعَ وترِ المثلـثِ القائمِ الزاويةِ ، يساوى مجموعَ مربعَىِ الضلَعْينَ الآخرَيْـنِ . " فأثبتُـها أمامَهُ ، فوافقَ على الرغبةِ التى أوفدَنى زملائى من أجلها .

وقد كانَ رحمَهُ اللهُ أبًا للتلاميذِ مُحِبًّا لهم ، عطـوفًا عليـهم ، وكثيرًا ما يختلطُ بهم فى وقتِ الفراغِ ، ويُفسِحُ لهم منزلَـهُ للزيارة ."



الجنود يحملون أولاد الأسرى !!

فى الحديثِ المُمتعِ المُهِمِّ مع عالمةِ الآثار الفرنسيةِ "نوبلكور" ، الذى نشرَتْهُ مجلةُ " المصور" فى أحدِ أعدادِها ، تؤكِّدُ العالمةُ الشهيرةُ حقيقةً مهمةً ، لم يتنبَّهْ إليها الكثيرون ، وهى أنه فى مصرَ الفرعونيةِ ، لم يكن هناك عبيدٌ ولا عبوديةٌ ، وهو ما يؤكِّدُ تقدُّمَهم الحضاريِّ والإنسانِيَّ. فتقولُ :

" المصريون القدماءُ لم يكونوا قُساةً على الإطلاقِ . كان هناك خدمٌ فى المنازلِ ، يعيشونَ مع أسرةٍ واحدةٍ لأجيالٍ عديدةٍ ، لكنهم لم يكونوا عبيدًا . أما فى الإمبراطوريةِ الرومانيةِ ، فإن القانونَ الرومانِيَّ كان يعتبرُ العبدَ " شيئًا" ، وملكًا كاملاً لسيدِهِ ، يتحكَّمُ كما يشاءُ فى حياتِهِ أو موتِهِ ، كأنه بقرةٌ أو ثورٌ . "

" وكانَ هناك أسرى حربٍ فى مصرَ القديمةِ ، ويمكنُ أن نعتبرَ هؤلاء عبيدًا ، لكن حتى هؤلاء لم تكنْ معاملتُهم سيئةً . بل إن المصريين كانوا يسمحونَ للأسرى بإحضار زوجاتِهم وأبنائِهم ، ولم تكنْ هناك دُوَلٌ أخرى تفعلُ ذلك . "

" وهناك كتاباتٌ قديمةٌ لجنودٍ مصريين ، يشتكونَ من أنهم يضطرُّونَ لحملِ أولادِ الأسرى وأحيانًا زوجاتِهم ، عندما كانوا يعبرونَ بهم مناطقَ وعرةً .. تَصوَّرْ !! "

ثم تقولُ :" إن الأمريكيين لم يعاملوا السودَ الذين جلبوهم من إفريقيا كعبيدٍ هذه المعاملةَ الإنسانيةَ ، بل كانَ الزوجُ يُباعُ بعيدًا عن زوجتِهِ وأولادِهِ ، والزوجةُ والأولادُ يُباعونَ بغيرِ شفقةٍ ، كلٌّ واحدٍ منهم لسيدٍ مُختلِفٍ !! "



لن أُقَبِّلَ يده

كتبَ الكاتبُ الساخرُ "يعقوب صنوع" (١٨٣٩ - ١٩١٢) يحكى عن نفسِهِ ، قالَ:

كُنْتُ فى طفولتى شديدَ الاعتدادِ بنفسى. وفى الثالثةَ عشرةَ من عمرى ، كتبْتُ قصيدةً مدحْتُ بها ناظرَ مدرستى. وعندما قرأها والدى ، اقترحَ علَىَّ أن أكتبَ قصيدةً أمدحُ بها الأمير "أحمد" ، حفيد "محمد على باشا" حاكمِ مصرَ. فكتبْتُ قصيدةً طويلةً ، قدَّمَها



والدى ، اقترحَ علَىَّ أن أكتبَ قصيدةً أمدحُ بها الأميرَ "أحمد" ، حفيد "محمد على باشا" حاكمِ مصرَ. فكتبْتُ قصيدةً طويلةً ، قدَّمَها والدى للأميرِ ، الذى لم يصدِّقْ أن صبيًّا فى الثالثةَ عشرةَ يستطيعُ أن يكتبَ هذه الأشعارَ. وطلبَ الأميرُ أن يرى هذا الطفلَ المعجزةَ ، فذهبْتُ لأقابلَهُ.

وعندما دخلْتُ قاعةَ الاستقبالِ ، كانَتْ ملآنةً بالزائرين. وقدَّمَنى والدى إلى الأميرِ وهو يقولُ: "هذا هو الشاعرُ الصغيرُ."

ثم همسَ لى قائلاً: "قبِّلْ يدَ الأميرِ."

أما أنا فحيَّيْتُ الأميرَ وأنا أقولُ: "السلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ."

وأمسكَنى أبى بعنفٍ ، وهو يقولُ بصوتٍ منخفضٍ: "لماذا لم تقبِّلْ يدَهُ؟"

فأجبْتُهُ: "لا .. لن أقبِّلَها!!"

وهدَّدَنى والدى ، لكننى أصررت على الرفضِ.

وشعرَ الأميرُ بما يحدثُ بينى وبينَ أبى ، فحاولَ أن يستوضحَ الأمرَ ، فسبقْتُ أبى بالكلام وأنا أقولُ:

"لا أدرى لماذا يُريدُ والدى منّى أن أقبِّلَ يدكم !! إننى إنسانٌ مثلُكم ، بل إننى أجيدُ كتابةَ الشعرِ!!"

ونزلَتْ هذه الكلماتُ على أبى كالصاعقةِ ، لكنَّ الأميرَ لم يغضبِ من ثقتى الكبيرةِ بنفسى ، بل أمرَ أن أكملَ تعليمى فى أوربا ، على نفقتِهِ!!

طريقتهم فى ذلك الحين

يتحدَّثُ أستاذُ الجيلِ أحمد لطفى السيد ، فى كتابِهِ "قصة حياتى". عن بشاعةِ أساليبِ الحكمِ فى نهاية القرن التاسع عشر ، أى سنة ١٨٨٢ تقريبًا ، وكان عمرُهُ عشر سنواتٍ ، فيقولُ:

"أذكرُ أن الضربَ فى ذلك الزمانِ كانَ مباحًا ، حتى ضَرْبُ العمدةِ والأعيانِ ، وكانَ هذا بعضَ ما يحدثُ فى القرى المصريةِ من القسوةِ والاستبدادِ.





وقد رأيْتُ ذلك بنفسى أكثرَ من مرةٍ ، إذْ كانَ لوالـدى صديقٌ يشغلُ وظيفةَ "مفتش تفتيش" ، فكنْتُ وأنا بمدرسةِ المنصورةِ ، أذهبُ إلى بيتِهِ يـومَ الجمعـةِ ، فـأرى حـوشَ التفتيـشِ مرشوشًـا ، والبيـك المفتشَ قاعدًا فى صدرهِ ، وقـد وقفَ اثنـانِ مـن "القَوَّاسَـة" (مثـل الخفراء) يحملانِ الكرباجَ و "الفَلَقَة" (وهى أداةٌ للضربِ على باطنِ القدمِ) لضربِ العُمَدِ الذين يتأخَّرُ أهلُ قريتِهم فى دفعِ الإيجار.

ثم يضيفُ أستاذُ الجيلِ قائلاً: "وكانَتْ هذه هى طريقتَهم فى ذلك الحينِ .. فانظرْ كيف كانَتِ الحالُ بالأمسِ ، وكيفَ هى اليومَ."

ضحكة فرعونية !

قد تكونُ هذه هى أقدمَ النوادر التى سجَّلَها الإنسانُ ، فقد وجدْناها مكتوبةً على قطعةٍ من ورقِ البردى ، يرجعُ عهدُها إلى حوالى سنة ٢٤٠٠ قبلَ الميلادِ.

وتقولُ الحكايةُ ، إن أحدَ الكتبةِ كان يقومُ بتسجيلِ العقودِ فى غرفتِهِ قربَ مدخلِ معبدِ آمون ، فأزعجَتْهُ الضوضاءُ المُنبعِثةُ من الغرفتَيْنِ عن يسار ويمينِ غرفتِهِ ، وكانَ يعملُ فى أحدِهما نجارٌ ، ويعملُ فى الأخرى بنَّاءٌ.

وأحسَّ الكاتبُ أنه سيُجَنُّ من الضوضاءِ ، فذهبَ إلى النجار، وقدَّمَ إليه مبلغًا كبيرًا من المالِ ، لكى يتركَ غرفتَهُ إلى غرفةٍ أخرى. ثم فعلَ نفسَ الشيءِ مع البنَّاءِ. وأخذَ الرجلان المالَ ، بعدَ أن وافقاه على طلبِهِ.

وفى اليومِ التالى ، اكتشفَ الكاتبُ أن البنَّاءَ انتقلَ إلى غرفةِ النجار ، وأنِ النجارَ انتقلَ إلى غرفةِ البناءِ!!



ألف حكاية وحكاية

تأليف : الأستاذ يعقوب الشاروني

١ ـ كيس الحصام
٢ ـ طيران بغير طعام
٣ ـ النمر لا يهزم السلحفاة
٤ ـ أسد فى المطعم
٥ ـ كلمة سحرية
٦ ـ النحلة تقود العربة
٧ ـ جحا واللا شىء
٨ ـ عيد للجميع
٩ ـ نهاية ملك المزرعة
١٠ ـ انفجار فى معمل
١١ ـ الربح من غرامة
١٢ ـ الأسد ورائحة فمه
١٣ ـ شاى وفطائر
١٤ ـ الآلة المتكلمة
١٥ ـ جرس الإنذار
١٦ ـ الأمير والحمام
١٧ ـ الخليفة ينقذ قطة
١٨ ـ القفزة الشجاعة
١٩ ـ يشرب ماء النهر كله
٢٠ ـ اعتذار المضحك
٢١ ـ قتلتني يا شيطان
٢٢ ـ ام لا [illegible]
٢٣ ـ لا خطر الآن
٢٤ ـ تغريد جحا
٢٥ ـ ذكاء المهرج
٢٦ ـ من يحبها أكثر ؟
٢٧ ـ لحم فى الهواء
٢٨ ـ الوهم الجميل
٢٩ ـ ذهب وعاد حافيًا
٣٠ ـ أعظم يوم فى حياتى
٣١ ـ الشمس وعنقود العنب
٣٢ ـ سيدة الأزهار
٣٣ ـ حلوى لأمير المؤمنين
٣٤ ـ تظاهر بالجنون
٣٥ ـ أذكى الأذكياء
٣٦ ـ القلب الذهبى
٣٧ ـ رجل فى الهواء
٣٨ ـ هزيمة أسد
٣٩ ـ أم فوق الجليد
٤٠ ـ شبح فى الحديقة
٤١ ـ آبار فى الصحراء
٤٢ ـ جحا وأغلى الأشياء
٤٣ ـ الرائحة والرنين
٤٤ ـ رأس الذئب الطائر
٤٥ ـ حلاوة السكر تبقى
٤٦ ـ الفيضان والكنز
٤٧ ـ جحا وحصان السلطان
٤٨ ـ نار فى ذيل ثعلب
٤٩ ـ مشمش أكل كوكى
٥٠ ـ يعيش يعيش يعيش
٥١ ـ الجائزة لمن ؟
٥٢ ـ قانون الغراب
٥٣ ـ الدنيا لا تزال بخير
٥٤ ـ صغيرة فى صيدلية
٥٥ ـ طفل بين ذراعى غوريلا
٥٦ ـ أم لألف طفل
٥٧ ـ حساب رأس السنة
٥٨ ـ هدية من الشمع
٥٩ ـ الاحترام للسائق
٦٠ ـ بغير خصام
٦١ ـ رجال فى طاعة الله
٦٢ ـ مصيدة العسل
٦٣ ـ عشاء للأسد
٦٤ ـ برميل جدتى
٦٥ ـ فتاة فى المحطة
٦٦ ـ جحا وحبل الغسيل
٦٧ ـ أجمل الوجوه
٦٨ ـ ميزان العدل
٦٩ ـ حلم الرجل الفقير
٧٠ ـ معركة الديوك الثلاثة
٧١ ـ مشاجرة فى صدرى
٧٢ ـ عروس البحر الجميلة
٧٣ ـ منقار لا يفتت الخبز الجاف
٧٤ ـ صراع فوق الرف
٧٥ ـ ليلة مع الإنسان الآلى
٧٦ ـ حادث على السلم
٧٧ ـ أجمل يوم فى حياتنا
٧٨ ـ متى أكمل دور الشطرنج
٧٩ ـ من أين جئت يا جدو
٨٠ ـ لوحة أخبار لسن الخامسة
٨١ ـ صديق فى الطريق
٨٢ ـ حكايات أبو نخلة
٨٣ ـ مصباح أمام كل بيت
٨٤ ـ هرقل بطل القوة والحكمة
٨٥ ـ ريش الغراب
٨٦ ـ مفلس فوق حمار
٨٧ ـ زواج الأسد
٨٨ ـ جائزة مليون دينار
٨٩ ـ من أجل الشجاعة
٩٠ ـ كلب بين الذئاب
٩١ ـ صلح سامح وسميحة
٩٢ ـ أحذية القرود
٩٣ ـ نعجة الإنسان الأسود
٩٤ ـ القطة التى عاونت الأسد
٩٥ ـ الغريب يصطاد المعز
٩٦ ـ لعب وخيال وعالم أطفال
٩٧ ـ حادث فى طفولته
٩٨ ـ معركة مع ثعبان
٩٩ ـ عربة لا تتزحزح
١٠٠ ـ قاطع الأحجار يصبح ملكا
١٠١ ـ الفيل لا ينسى
١٠٢ ـ نصف العمر والعمر كله
١٠٣ ـ أم فوق الجليد القاتل
١٠٤ ـ كيف سقطت السماء
١٠٥ ـ أين كل العميان والمجانين
١٠٦ ـ النحل يمسك باللص
١٠٧ ـ تركناه يعش فى سلام
١٠٨ ـ الهلاك فى الإبرة
١٠٩ ـ من مذكرات طفل
١١٠ ـ يولد وينمو ويموت
١١١ ـ الحفيد ومسمار النظارة
١١٢ ـ عقلك فوق زجاج سيارة
١١٣ ـ التيتانيك فى شبح العنكبوت
١١٤ ـ سر الدراجة المحطمة
١١٥ ـ ثعبان حول العنق
١١٦ ـ السلاحف على شاطئ ميامى
١١٧ ـ مغامرة الغواصة العجيبة
١١٨ ـ الفيل الوردى
١١٩ ـ وحيدة فى الصحراء
١٢٠ ـ ضحكة فرعونية

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

